

انطلاقاً جديدة في باب الاستغفار



من فضل اﷻ - عز وجل - على الإنسان أن فتح له باب الرحمة والمغفرة، وجعل التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وحذر ابن آدم من أن يكون ممن يؤخرون التوبة ويطول بهم الأمل حتى يرجعوا إلى الآخرة بغير عمل. بعد أن تكتمل شروط التوبة من إقلاع العبد عن المعصية والندم على فعلها والعزم على عدم العودة لها أبداً، يصبح على التائب أن يجتهد في درء الحسنة بالسيئة، ويكون ذلك باللسان والقلب والجوارح. فهو يجدد في التفكير عن ذنبه بالاستغفار والتضرع إلى اﷻ تعالى سائلاً العفو والمغفرة والاستغفار يكون بالقلب واللسان معاً وليس باللسان فقط. فالاستغفار يبعث على الأمن والسلامة ويعمق الشعور بالرضا لأنّه يبتني على الندم مما فات والعزم على ترك الخطأ وإصلاح الأوضاع. فهو عملية غسل للقلب وللجوارح لتكون جاهزة لانطلاق جديدة، بعيدة عن الألم، يقول النبي (صلى اﷻ عليه وآله وسلم): «مَنْ كَثُرَتْ هُمُومُهُ فَعَلِيهِ بِالْإِسْتِغْفَارِ». وعنه (صلى اﷻ عليه وآله وسلم): «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى دَوَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ؟ أَلَا إِنَّ دَوَائِكُمُ الذُّنُوبَ وَدَوَائِكُمُ الْإِسْتِغْفَارِ». على الإنسان أن يُعْجِلَ بِالْإِسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ وَلَا يُؤَخِّرْهَا مُتَعَمِّداً أَوْ مُتَسَاهِلاً لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يُؤَدِّي إِلَى عَدَمِ قَبُولِ التَّوْبَةِ وَرَدِّهَا، قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ زَمَّامَ التَّوْبَةِ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَدْتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتْ

التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (النساء / 17-18).

على التائب أن يوطن نفسه على الأعمال والخصال الصالحة المكفرة للذنوب، ومن هذه الخصال مسامحة الناس والعفو عن زلاتهم، قال تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف / 199)، وكذلك أن يضم في قلبه الخيرات للمسلمين ويعزم على التزام الطاعات والعبادات، فيشغل جوارحه بعمل الطاعات والصدقات وأنواع العبادات، ويعمد إلى بدنه فيصرف طاقته في طاعة الله وتحري الحلال. وبالجملة فعليه أن يحاسب نفسه كل يوم ويتذكر جمع سيئاته الماضية، ويجتهد في دفعها بالحسنات.

عندما تصدق توبة العبد وتتكامل أركانها، فإنها تثمر رحمت ومغفرة وأجراً عظيماً من الله عز وجل. فمن ثمار التوبة تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «التائب من الذنب كمن لا ذنب له». ومن ثمارها تبديل السيئات حسنات، قال تعالى: (يُبدِلْ لُغْلُوكُمُ اللَّهَ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ) (الفرقان / 70)، جاء رجل هزم إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: رأيت رجل يعمل الذنوب كلها فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «فهل أسلمت؟». قال: أمّا أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأني أشهد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهنّ لك خيرات كلهنّ» قال: وغدراتي وفجراتي؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «نعم».

وتثمر التوبة النصوح حب الله سبحانه وتعالى لعبده التائب، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة / 222)، وفرح الله تعالى بتوبة عبده، إن الله أعطى التائبين ثلاث خصال لو أعطى خصلة منها جميع أهل السموات والأرض لنجوا بها، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ) فمن أحبه الله لم يعذبه وقوله تعالى: (إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) (الفرقان /